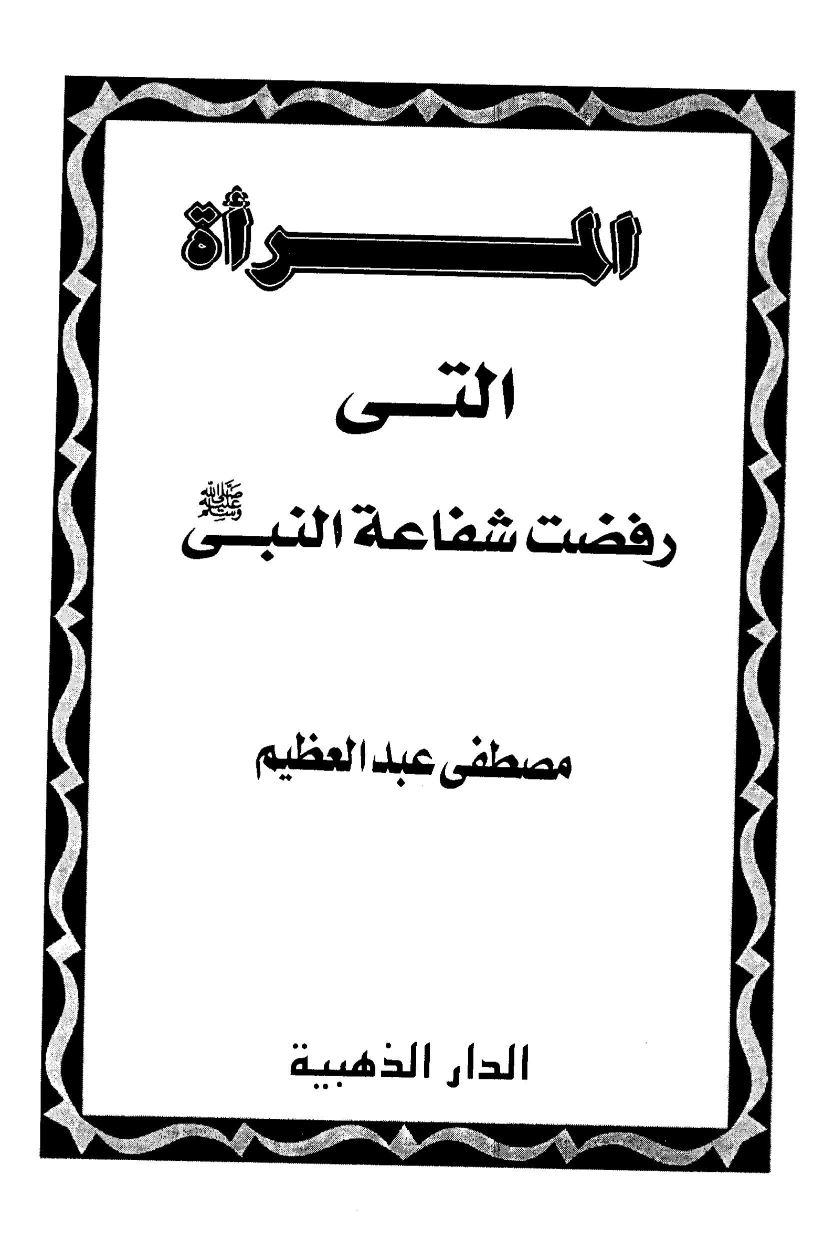


المرأة

التى

رفضت شفاعة النبى ﷺ

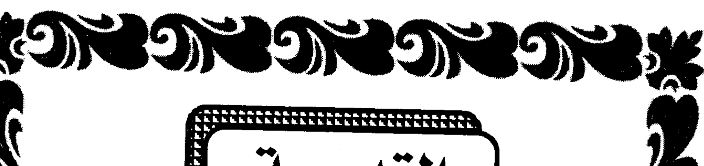
مصطفى عبد العظيم

الدار الذهبية



الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

٨ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت : ٣٩١٠٣٥٤ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١



المقدمة

من هنا نبدأ

هذه القصة. قصة امرأة رفضت شفاعة النبى ﷺ. رفضت شفاعة سيد الخلق وحبيب الحق.. رفضت شفاعة من سيشفع للناس كلهم يوم القيامة.

إنها قصة عجيبة غريبة.. وقعت أحداثها فى المدينة المنورة.. فى بيت النبى ﷺ.. فى زمن الوحى.. وعصر النبوة..

إنها قصة امرأة رتعت الإيمان غضّاً طريّاً.. امرأة استنشقت عبق الإسلام فى عبوديتها وحريتها.. امرأة عاشت فى بيت النبى ﷺ فكانت تأكل من طعامه ويأكل من طعامها.. يسألها وتسأله.. يتصدق عليها وتهدى له.. ملأت عينيها بنور النبى ﷺ وعطرت مسامعها بحديثه، وأصغت فى شجاً إلى كلامه.

ولكن يبقى سؤال.. أو إن شئت فقل عدة أسئلة تقفز إلى أذهاننا فى إلحاح.. وشغف.



تُرى من تكون هذه المرأة؟.. وما قصتها؟ ولماذا رفضت شفاعة النبى ﷺ؟.. وفى أى شىء كان ﷺ؟.. يشفع؟ ولمن..

فعليك أيها القارئ الكريم كى تفوز بالإجابة عن كل هذه الأسئلة أن تستعرض معنا هذه الصفحات، لنشم معاً عبير السيرة العطرة، ونقترب فى مهل وحياء من هذه المرأة التى عاشت عصر الرسالة.. ونطوف معها.. ونتنقل فى صحبتها فى رحاب المدينة المنورة، وبيت النبى ﷺ.. لنتعرف على إجابة كل هذه الأسئلة.

فهيا معاً نقلب الصفحات.. ونرهف السمع لصوت الكلمات..



مـــن هـــى

إنها بريره.. المرأه التى ولدت فى قيد العبودية..

كانت بريرة جارية صغيرة لقوم من الأنصار، عاشت حياة العبودية القاسية البائسة، ظلت منذ نعومة أظافرها تتنقل بين حلب الشّياه، وحمل المياه..

لم تكن بريرة سعيدة، بل كانت فى غاية الحزن والألم، فقد حرمت منذ صغرها من الحنان الأبوى، والأمومة.. وأُلقيت فى قيود العبودية..

ظلت تعيش حياة لا لَوْن لها ولا طعم تمسى وتصبح فى أعمال رتيبة لا ترى فيها إلا التحقير، وإذلال النفس.

وذات يوم ذهبت بريرة كعادتها تملأ قربة الماء من البئر.. فأبصرها مغيث بن جحش، مملوك من عبيد آل أبى أحمد بن جحش، فأسرع إليها يسألها عن اسمها، ومن أهلها وأولياؤها.

كان اللقاء بينهما قصيراً لكنه تكرر كثيراً عند البئر،



وفى السوق وعند رعى الأغنام، وجمع الحطب كان اللقاء دائماً وأبداً عند المهام الحقيرة التى يجتمع عليها الإماء والعبيد.. لم يضمهما مكان ذو شأن وقدر كما يحدث ذلك مع الأحرار.

شغف مغيث شغفاً ملأ قلبه، وأسهر ليله، أما هى فلم يمثل لها شيئاً ذا بال.. فهو عندها كغيره، كل العبيد عندها سواسية لا فرق عندها بين عبد بنى فلان أو بنى فلان إلا بالتقوى..

لم يستطع مغيث أن يكتم إعجابه ببريرة، فأسرع إلى سيده ومولاه.. وبث إليه أشواقه المشتعلة داخله.. وطلب إليه أن يزوجه إياها..

وافق السيد على طلب مملوكه، وذهب به إلى أهل بريرة وأوليائها يطلب يدها إلى مملوكه، لم يتردد أهل بريرة فى الموافقة.. وقبل الطرفان وحددوا وقتاً وموعداً تُزف فيه بريرة إلى مغيث..



زواج متواضع

فى حفل متواضع بسيط، تم زفاف بريرة إلى مغيث..

جلس مغيث إلى محبوبته يسألها.

هل أنت سعيدة يا بريرة..؟..

قالت: الحمد لله على كل حال يا مغيث.. سعادتى الحقيقية فى أن أستنشق نسيم الحرية الذى حرمت منه قبل أن أرى هذه الدنيا..

قال: كل شىء بقدر الله.. من يدرى يا بريرة لعل الأيام تخفى لنا مزيداً من السعادة.. والآن هيا نسعد سوياً فى هذه الليلة الأولى من زواجنا..

لم تتبدد الأحزان الراقدة فى قلب بريرة بهذا الزواج بل ربما تراكمت عليها أحزان أخرى.. فبعد أن كانت تعيش فى بيت أهلها الذى كان خليطاً بين السادة والعبيد، انتقلت



إلى بيت لا يوجد به إلا العبيد.. حتى الأطفال الذين ينتظر قدومهم سوف يسجلون فى قائمة العبيد.. حتى المستقبل عندها تحول إلى هاجس مخيف يضع على أعبائها أعباء، ويضيف إلى أحزانها أحزانا إنه عندها يمثل شبحاً مخيفاً..



الضيف الجديد

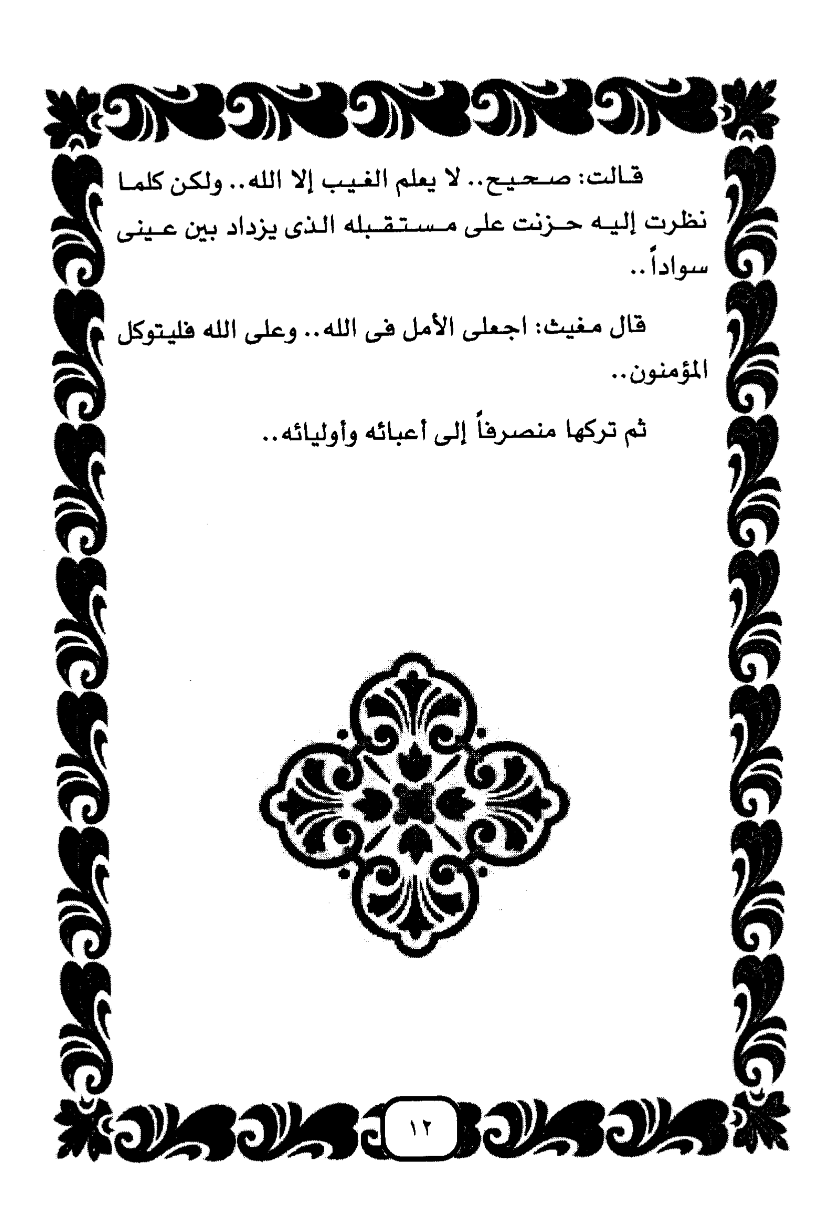
هكذا مضت الحياة بطيئة مملة، وسرعان ما مرت الأيام، وأفرزت طفلاً صغيراً.

ولدت بريرة طفلها الأول، وبقدر الفرحة التى تكمن فى قلب كل أم كانت تلوح لها أشباح العبودية، التى تنتظر هذا الطفل الصغير.. كانت الفرحة تساوى الأحزان..

أتى مغيث يهرول فرحاً وأخذ يقبل ابنه هذا الطفل الصغير.. ويقول: اللهم بارك فيه، واجعله مباركاً صالحاً تقياً وطاهراً.

قالت: قل اللهم حرر رقبته من العبودية وذل الرق.

نظر مغيث إلى بريرة فى رأفة، وقال مواسياً لها: يا بريرة كل شىء بقدر الله.. عسى أن يكون حظه أفضل من حظنا.



قالت: صحيح.. لا يعلم الغيب إلا الله.. ولكن كلما نظرت إليه حزنت على مستقبله الذى يزداد بين عينى سواداً..

قال مغيث: اجعلى الأمل فى الله.. وعلى الله فليتوكل المؤمنون..

ثم تركها منصرفاً إلى أعبائه وأوليائه..



نور الحرية

كانت بريرة مملوكة لقوم من أهل المدينة، ولكنها لم ترتح إليهم، ولم تسعد بالعمل معهم، فطلبت منهم أن تذهب لتعمل خارج البيت ثم تأتى إليهم بالطعام وبعض الدراهم، وبالفعل قبل سيدها.

خرجت بريرة تبحث عن عمل يريحها من العمل فى بيت سيدها وأخذت تتنقل فى الخدمة من بيت لآخر حتى استقرت فى بيت النبى ﷺ، وفى خدمة السيدة عائشة (رضى الله عنها).

ارتاحت بريرة فى خدمة السيدة عائشة (رضى الله عنها) وكانت سعيدة، محبة للعمل فى بيت النبى ﷺ، وكانت من حين لآخر تذهب إلى بيت سيدها، وتعطيهم مما أفاء الله عليها من الخير والبركة.

رأت بريرة أن عملها فى خدمة السيدة عائشة رفع



من حالها، فالناس يعرفونها، ويغدقون عليها الهدايا، كما أنها تشعر بسعادة روحية غامرة ونشوة دينية لم تألفها من قبل..

فكرت بريرة كثيراً فى حالها وزوجها وحريتها، كان تشرد كثيراً فى الحرية ومعنى الحرية، وعبيرها الذى يشمه السادة، كان حلم الحرية يتردد عليها فى منامها ويقظتها لم يتركها لحظة واحدة..

كانت تشرد كثيراً، حتى فى تلك اللحظات التى تكون مع زوجها مغيث.. فيسألها فى دهشة:

ما بك يا بريرة؟.. أراك سارحة، فيم تفكرين؟

فتقول بفتور: لا شىء يا مغيث.. يبدو أنى مرهقة اليوم..

ثم تتوارى منه تحت غطائها الرث البالى..

تغيرت حالة بريرة المادية، وشعرت بتحسن فى الحال، قليلاً، وبدأ حلم الحرية يلح عليها بشدة، خاصة بعد هذا التحسن فى الحال..

وذات يوم ذهبت بريرة لسيدها، وقالت له فى حياء: سيدى.. أريد منك أن تجعل بينى وبينك مكاتبة.. بحيث إذا



وفيت بها أنال حريتى..

ضحك سيدها طويلاً ثم قال: وهل تستطيعين يا بريرة أن توفى بما نكتبه عليك..

قالت: إن شاء الله.. سوف أستطيع يا سيدى.

قال: عظيم.. نجعل المكاتبة يا بريرة عشرة أواق كل أوقية أربعون درهماً.

قالت: لكن هذا كثير يا سيدى.

قال: لأجلك يا بريرة نجعلها تسع أواق.

فرحت بريرة، بهذه المكاتبة، وانطلقت سعيدة إلى السيدة عائشة (رضى الله عنها) وأخبرتها بما حدث بينها وبين أهلها..

وقالت لها: ليتك يا سيدتى تدفعين هذا المال وأكون مملوكة عندك.

فقالت عائشة: أستطيع أن أدفع ما اتفقتم عليه دفعة واحدة.

قالت بريرة: خيراً يا سيدتى.. كم أنا مسرورة بهذا الخبر.. سأذهب إلى سيدى وأخبره بهذا الأمر..



وفى الحال أسرعت بريرة إلى سيدها، وعندما وقفت عنده.

قالت: أبشر يا سيدى.

قال: خيراً يا بريرة!!

قالت: السيدة عائشة أم المؤمنين سوف تدفع لك كل ما اتفقنا عليه دفعة واحدة.. دون أن تؤخر لك شيئاً.. وتتركنى لها..

قال الرجل: أنا موافق يا بريرة.. ولكن لى شرط بسيط جداً..

قالت بريرة: شرط.. ما هو؟

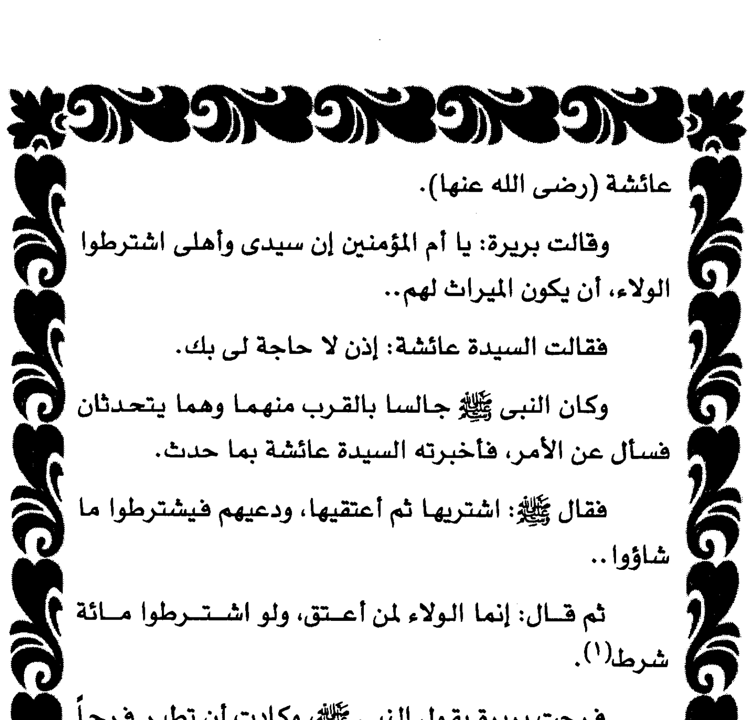
قال: شرطى الوحيد يا بريرة أن يكون لى الولاء..

قالت: أن يكون الولاء لك..

قال: نعم أن يكون الولاء لى، أى أن كل ما تتركينه من مال وميراث يكون لى وحدى لا يشاركنى فيه أحد..

قالت بريرة: سأعرض على السيدة عائشة ما قلت وأبلغك رأيها.

وعلى الفور ذهبت بريرة إلى أم المؤمنين السيدة



عائشة (رضى الله عنها).

وقالت بريرة: يا أم المؤمنين إن سيدى وأهلى اشترطوا الولاء، أن يكون الميراث لهم..

فقالت السيدة عائشة: إذن لا حاجة لى بك.

وكان النبى ﷺ جالسا بالقرب منهما وهما يتحدثان فسأل عن الأمر، فأخبرته السيدة عائشة بما حدث.

فقال ﷺ: اشتريها ثم أعتقيها، ودعيهم فيشترطوا ما شاؤوا..

ثم قال: إنما الولاء لمن أعتق، ولو اشترطوا مائة شرط[1].

فرحت بريرة بقول النبى ﷺ، وكادت أن تطير فرحاً لأنها سوف تفوز فوزين، الفوز الأول هو أن السيدة عائشة سوف تشتريها من سيدها، وهذا فوز ما بعده فوز، فمن لا يريد أن يكون فى جوار النبى ﷺ، وأم المؤمنين السيدة عائشة.

أما الفوز الثانى هو أن السيدة عائشة سوف تعتقها

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٥٧/٨) والبخارى (٤٥٦)، (١٤٩٣).



حرة..

نظرت بريرة إلى السماء رافعة يديها وهى تتضرع إلى الله عز وجل شكراً، والدموع تغمر عينيها.. ثم قامت إلى السيدة عائشة وأخذت تقبل يديها ورأسها، لأنها ستمنحها الحرية لأول مرة..

قامت السيدة عائشة، وأعطت لبريرة تسع أواق من فضة كل أوقية تساوى أربعين درهماً، أى أعطتها ٣٦٠ درهماً..

ثم انطلقت السيدة عائشة (رضى الله عنها) معها إلى أهلها ومواليها.. فأعطتهم أواقى الفضة، وأخذت منهم بريرة..

فقالوا: ويبقى لنا شرط الولاء أى أن يكون النسب والميراث لنا..

ووسط حشد من الرجال والنساء وقامت السيدة عائشة وأعلمت الجميع أنها أعتقت بريرة فهى حرة لوجه الله تعالى..



الولاء لمن أعتق

غضب النبى ﷺ من إصرار أهل بريرة على شرطهم، وأن يكون الولاء لهم، فـأراد أن يذهب ذلك كله، وبين لهم سنة الله عز وجل فى هذا الأمر.

فـأسـرع إلى الناس فى المسجد، وكانوا مجتمعين، فصعد المنبر ورفع صوته:

ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس فى كتاب الله فشرطه باطل وإن اشترط مائة مرة..

... فشرط الله أحق وأوثق..

ثم أراد أن يبطل هذا العرف الجاهلى الخبيث، فقال معلماً وموضحاً:

إنما الولاء لمن أعتق... إنما الولاء لمن أعتق(١).

---

(١) البخارى (٤٥٦) (١٤٩٣).



الفراق والطلاق

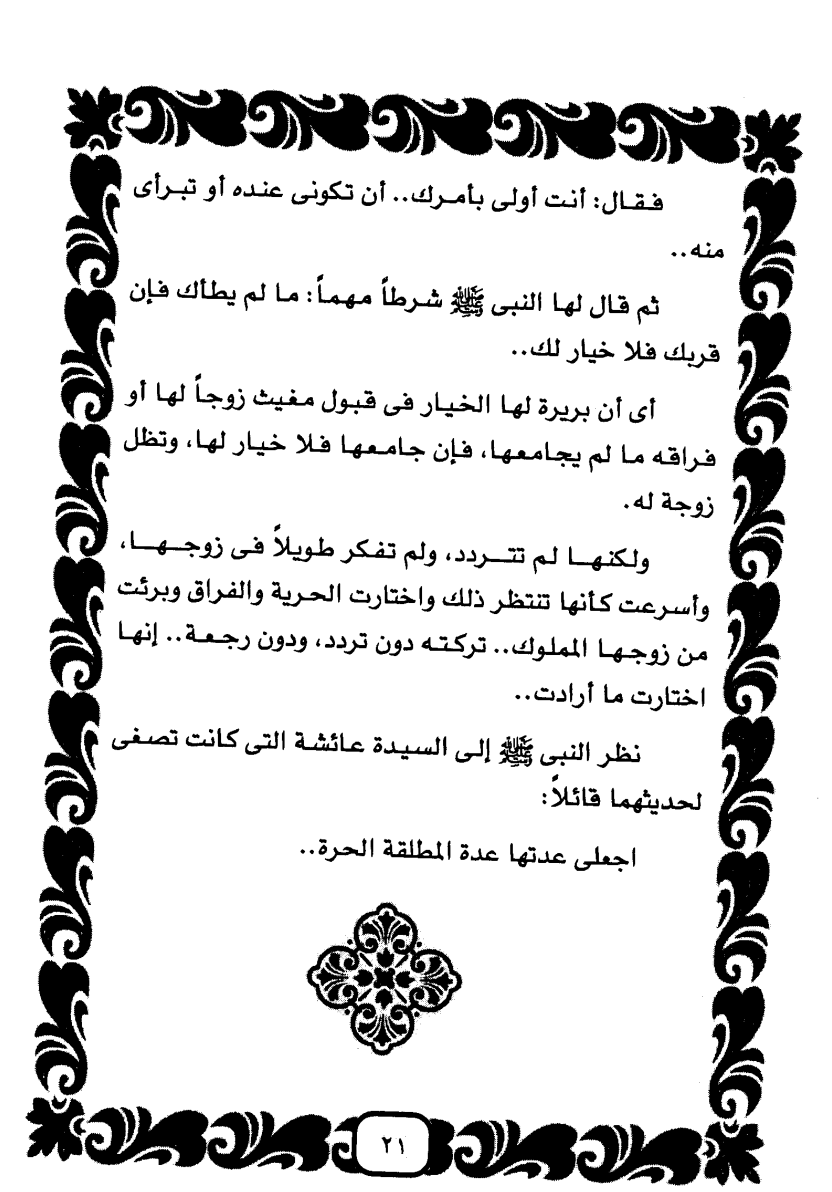
كانت بريرة سعيدة، فرحة بحريتها الجديدة، وأخذت تستنشق عبق الحرية فى غمرة ساحرة، ولحظات لم تمر عليها من قبل، وكيف لا تكون كذلك، وقد انكسر كل قيد يربطها من رقبتها بقيود العبودية.

وبينما هى كذلك فى نشوتها وفرحتها إذ برسول الله ﷺ يسأل عنها..

وقفت بريرة بين يدى النبى ﷺ شاكرة حامدة لربها عابدة.

فأخبرها النبى ﷺ بأمر جلل إنه يخيرها فى الحياة مع زوجها مغيث أو الفراق، خيرها فى أن تكون بعد حريتها زوجة لمملوك أو مفارقته إلى زوج حر مثلها.

ووضع ﷺ الأمر جلياً واضحاً بين يديها، ظاهراً كالشمس وقت الظهيرة فى يوم صائف.



فقال: أنت أولى بأمرك.. أن تكونى عنده أو تبرأى منه..

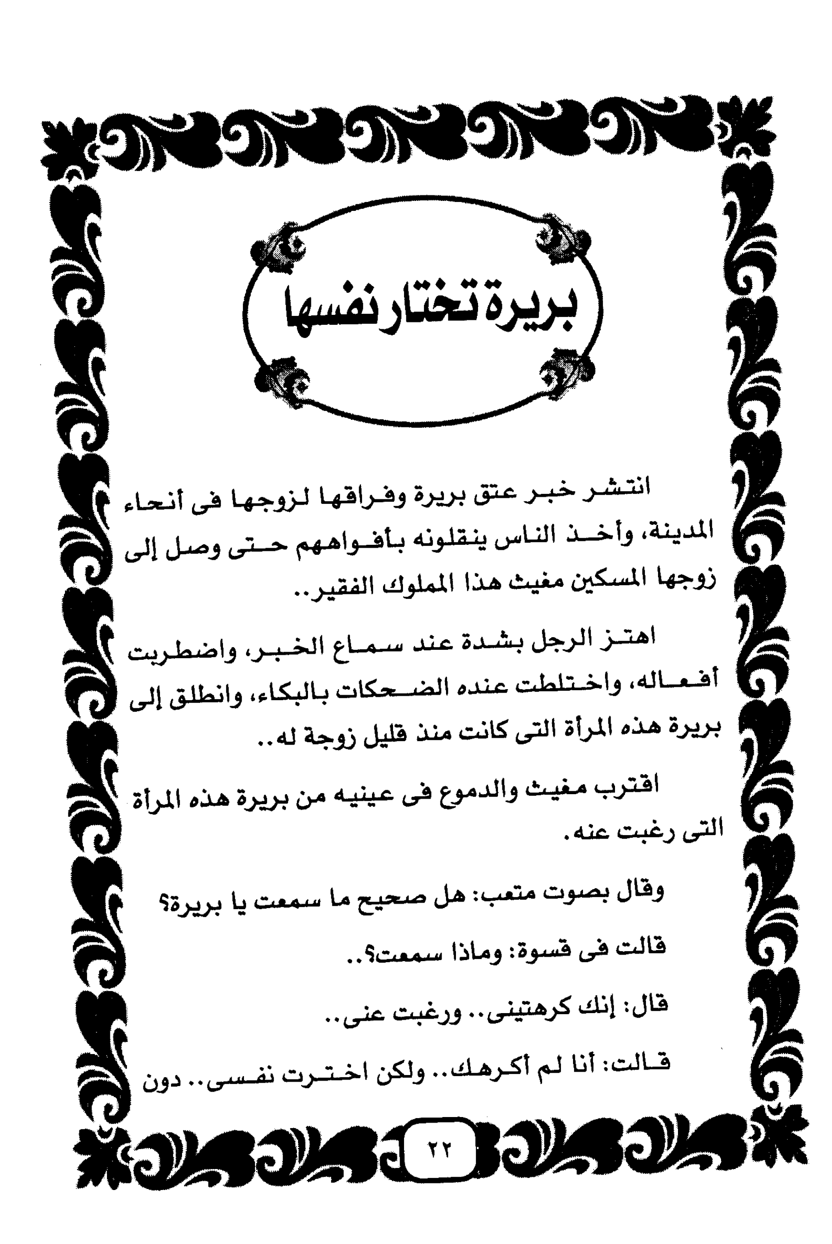
ثم قال لها النبى ﷺ شرطاً مهماً: ما لم يطأك فإن قربك فلا خيار لك..

أى أن بريرة لها الخيار فى قبول مغيث زوجاً لها أو فراقه ما لم يجامعها، فإن جامعها فلا خيار لها، وتظل زوجة له.

ولكنها لم تتردد، ولم تفكر طويلاً فى زوجها، وأسرعت كأنها تنتظر ذلك واختارت الحرية والفراق وبرئت من زوجها المملوك.. تركته دون تردد، ودون رجعة.. إنها اختارت ما أرادت..

نظر النبى ﷺ إلى السيدة عائشة التى كانت تصغى لحديثهما قائلاً:

اجعلى عدتها عدة المطلقة الحرة..



بريرة تختار نفسها

انتشر خبر عتق بريرة وفراقها لزوجها فى أنحاء المدينة، وأخذ الناس ينقلونه بأفواههم حتى وصل إلى زوجها المسكين مغيث هذا المملوك الفقير..

اهتز الرجل بشدة عند سماع الخبر، واضطربت أفعاله، واختلطت عنده الضحكات بالبكاء، وانطلق إلى بريرة هذه المرأة التى كانت منذ قليل زوجة له..

اقترب مغيث والدموع فى عينيه من بريرة هذه المرأة التى رغبت عنه.

وقال بصوت متعب: هل صحيح ما سمعت يا بريرة؟

قالت فى قسوة: وماذا سمعت؟..

قال: إنك كرهتينى.. ورغبت عنى..

قالت: أنا لم أكرهك.. ولكن اخترت نفسى.. دون



مخالفة لشرع أو عرف..

قال: وأنا مغيث.. زوجك.. أقصد الذى كان زوجاً لك..

قالت: وأنت كذلك لابد أن تختار لك أى امرأة أخرى غيرى.. فأنا من الآن لا أصلح لك.

قال: هانت عليك عشرتى وأيامى.

قالت: لقد اخترت أمراً خيرنى فيه ربى وعلى لسان رسوله..

قال: لا تغضبى منى إن كنت فعلت معك أمراً تكرهينه.. وسامحينى هذه المرة وعودى إلى.. فمنذ أن علمت الخبر وأنا فاقد لصوابى.

قالت: لا تكثر المحاولات.. فقد اخترت نفسى وانتهى كل شىء.

ثم انصرفت إلى حال سبيلها تاركة مغيثاً وحده تائهاً فى أحزانه.



النبى ﷺ يأكل من هدية بريرة

أتى رجل إلى باب بيت النبى ﷺ يسأل بصوت غليظ: أين بريرة؟..

خرجت بريرة وهى تقول: أنا ذا.. خيراً..

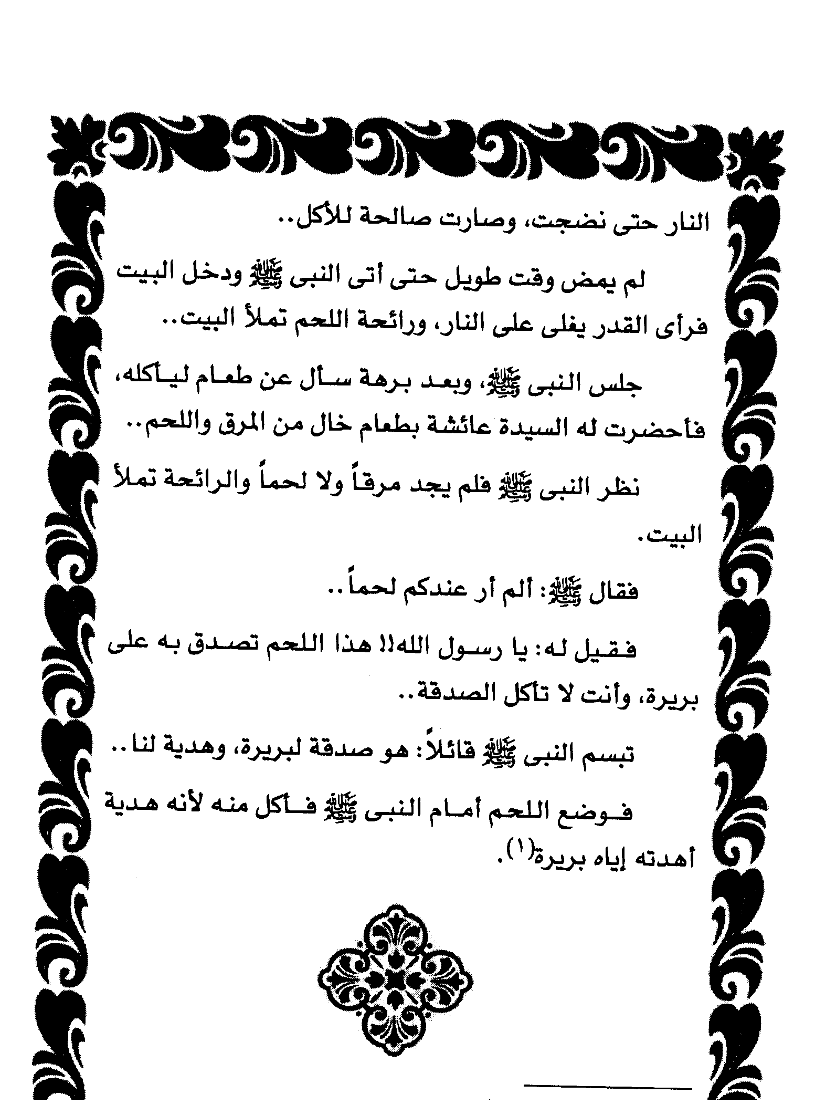
قال الرجل: مبارك عتقك وحريتك يا بريرة خذى هذه..

قالت: ما هذا؟..

قال: إنها شاة صغيرة.. هى لك اذبحيها وكلى منها فأنت امرأة فقيرة..

قالت: جزاك الله كل خير..

ثم أخذت بريرة الشاة، وانطلقت بها إلى بيت النبى ﷺ.. وقامت بذبحها وسلخها، وتقطيعها، ووضعتها على



النار حتى نضجت، وصارت صالحة للأكل..

لم يمض وقت طويل حتى أتى النبى ﷺ ودخل البيت فرأى القدر يغلى على النار، ورائحة اللحم تملأ البيت..

جلس النبى ﷺ، وبعد برهة سأل عن طعام ليأكله، فأحضرت له السيدة عائشة بطعام خال من المرق واللحم..

نظر النبى ﷺ فلم يجد مرقاً ولا لحماً والرائحة تملأ البيت.

فقال ﷺ: ألم أر عندكم لحماً..

فقيل له: يا رسول الله!! هذا اللحم تصدق به على بريرة، وأنت لا تأكل الصدقة..

تبسم النبى ﷺ قائلاً: هو صدقة لبريرة، وهدية لنا..

فوضع اللحم أمام النبى ﷺ فأكل منه لأنه هدية أهدته إياه بريرة[1].

---

(١) البخارى (١٤٩٥).



مغيث يتوسل إلى بريرة

بعد صلاة الفجر وقبل أن تظهر الشمس فى الأفق.. جلس «مغيث» على حجر صغير أمام باب «بريرة».

جلس مغيث فى حزن وهم كبير، ظل كذلك حتى استيقظت بريرة من نومها وارتدت ثيابها وخرجت تحمل قربتها متجهة إلى بئر قريب.

فلما رآها مغيث أسرع إليها، يريد أن يحمل القربة عنها ليسير معها..

فقالت: ماذا تريد يا مغيث فى تلك الساعة.

قال: أريدك أنت يا بريرة.. أريد أن ترجعى لى.. هانت عليك العشرة.

قالت: يا مغيث إننا لن نصلح زوجين مرة أخرى.. لقد أصبحت حرة وأصبح أمرى ملك نفسى وبيدى.. أما أنت



فلا تزال غارقاً فى قيود العبودية.

قال: لكنى أحبك يا بريرة حبّاً أنت تعرفينه جيداً.. ولا أستطيع الحياة بعدك لحظة واحدة..

قالت: الحب يا مغيث ليس كل شىء.. صدقنى أنا لن أصلح لك زوجة بعد الآن..

قال: لِمَ؟ وكنا زوجين..

قالت: لأننى تنفست هواء الحرية.. أريد أن أبدأ حياة جديدة..

قال: الحب يا بريرة لا يفرق بين عبد وسيد وصغير وكبير إذا وجد قلباً يسكن فيه..

قالت: يا مغيث لا تكثر الحديث ودعنى أنطلق لحال سبيلى..

قال: لا.. قبل أن تعرفى ما فى قلبى من شوق منذ أول يوم عرفتك فيه.. أنا يا بريرة منذ أن فارقتينى وأنا لا أذوق الطعام ولا الشراب أشعر أن الحياة دونك عذاب.. مرة قاسية.

قالت: لا تكثر ثرثرة، ودعنى أسير فى طريقى قلت لك ألف مرة لن نصلح زوجين بعد الآن فأنا حرة وأنت



مازلت فى قيد العبودية..

قال: لا تكونى قاسية علىّ، لا تقتلى الحب الكبير فى قلبى.. فأنا مازلت ملك يديك ورهن إشارتك..

اقتربت من مغيث فى هدوء، وقالت: أنصحك يا مغيث أن تتزوج جارية أخرى غيرى.. تخدمك وتنجب لك أولاداً..

قال: لا أستطيع.. فقلبى لم ولن يحب غيرك..

قالت: يا مغيث أنت رجل طيب وسوف تجد جارية تحبك أكثر منى.. أما أنا فلا تعقد أى أمل فى أن أرجع إليك مرة أخرى.. فلا أريد أن يكون أولادى عبيداً يتنقلون بين أيدى الناس.. الرق يا مغيث لعنة تذكرنى بماضٍ مؤلم، يذكرنى بالفقر والذل والسوط.

قال: ولكننا كنا زوجين، وكان سينجب لنا أولاد..!..

قالت: كنت وقتها أمة جارية رقيقة، غارقة فى الأغلال والقيود.. وكان لا يهمنى.. أما الآن فأنا حرة، ويهمنى أن يكون أولادى أحراراً.

ثم انطلقت بريرة ناحية البئر لتملأ قربتها تاركة مغيثا فى تفكيره وهواجسه..



ولكن مغيثا لم يتركها تسير وحدها، وانطلق خلفها يتوسل إليها ويبكى وهو يقول:

بريرة.. بريرة يا حبيبتى عودى إلىّ.. عودى إلى زوجك وحبيبك مغيث الذى لم ولن يحب غيرك.. عودى إلىّ لا تتركينى وحدى.. عودى إلىَّ..

ولكن بريرة مضت فى طريقها ولم تُعْطه أى اهتمام يذكر حتى عادت إلى البيت.



مغيث يبكى خلف بريرة

لم ييأس مغيث من فشله فى المحاولة الأولى، وعاد مرة أخرى يقف أمام بيت بريرة، ويسير خلفها كلما غدت أو راحت..

وذات يوم خرجت بريرة كعادتها إلى سوق المدينة لتشترى بعض الأشياء، فأبصرها مغيث الذى كان يقعد لها فى كل طريق، فسار خلفها يبث إليها أشواقه الملتهبة التى أحرقت فؤاده والدموع تسيل من عينيه وهو يقول:

بريرة.. لقد أصبحت جلداً على عظم.. لم أذق طعاماً ولا شراباً منذ فراقك، لم يغمض لى جفن منذ آخر ليلة كنا معاً.. عودى إلىّ يا حبيبتى لا أستطيع الحياة بعدك..

وازدحم الناس حولهما حتى توقفت بريرة عن السير، ومغيث يبكى، ويمسح دموعه بطرف ثوبه، وهو يقول: عودى إلىّ يا حبيبتى..

وظل الناس ينظرون إلى مغيث والدموع تسيل على لحيته، وهو يتضرع إليها أن تعود إليه مرة أخرى.. ويقلبون أيديهم متعجبين من هذا الشوق الذى كاد أن يقتل مغيثاً.

لم يطل وقوف بريرة، فسرعان ما انصرفت هاربة من ملاحقة أعين الناس.. ولكن مغيثاً لم يتركها وأخذ يهرول خلفها والدموع تنهمر من عينيه..

وبينما مغيث يسير وراء بريرة يبكى ويقول: عودى إلىّ يا بريرة..

رآه النبى ﷺ وهو جالس بين أصحابه، ونظر إلى دموعه المنهمرة على لحيته، وسمع توسلاته وتضرعاته فرق قلب النبى ﷺ له وأشفق عليه وعلى حاله.

فقال ﷺ: ألا تعجبون من حب مغيث بريرة وبغض بريرة مغيثاً[1].

وأخذ ﷺ يفكر فى حال هذا الرجل البائس الحزين الذى أضناه الشوق، وأحرق فؤاده، وقرر ﷺ أن يتدخل بينهما، وأن يذهب إلى بريرة، ويرقق قلبها على مغيث هذا الرجل المحب الولهان.

---

(١) النسائى (٥٣٢٢).



بريرة ترفض شفاعة النبى ﷺ

رجعت بريرة إلى البيت، وأخذت تعده وترتبه، سعيدة فرحة، لا يعكر صفوها غير مغيث زوجها السابق الذى يجلس لها فى كل مكان ويبكى وهو يسير وراءها، فينظر إليه الناس العبيد والأحرار.

وبينما هى كذلك تساورها الهواجس، وتتردد على رأسها الأفكار، جاءها النبى ﷺ وطلب منها أن تأتيه وتترك كل شىء بين يديها..

تركت بريرة كل شىء بين يديها أو يشغلها وأسرعت إلى النبى ﷺ، وجلست عنده فى تبتل وخشوع، فنظر إليها النبى ﷺ فى رأفة وحنان، وأخذ يحدثها عن مغيث زوجها السابق.

وأخبرها بأنه رآه، وعرف حاله الذى آل إليه من ضعف وبكاء، وأنه بعد فراقها أصبح لا يذوق طعاماً ولا



شراباً، ولا يطبق جفنيه لنوم.

وأخذ يحدثها عن دموعه، وحبه لها، وحياته التي تحولت إلى كآبة وليل حالك الظلمات.

وبعد هذا الحديث الذي بين فيه ﷺ موقف مغيث أتى النبي ﷺ إلى سبب هذا الحديث وبيت القصيد، وبصوت هادئ عرض ﷺ على بريرة الرجوع إلى زوجها مغيث وأن ترحم بكاءه وأشواقه الملتهبة.

اضطربت بريرة، وعادت بها الذاكرة إلى الوراء إلى العبودية إلى ذل الرق إلى الليالي المظلمة، إلى الرجل الذي سيذكرها بكل شيء تريد دفنه.

لم يطل شرود بريرة، وانتبهت على سؤال مهم يدل على فطنتها.. سؤال فاصل بين القبول والرفض.

سألت النبي ﷺ يا رسول الله أأمر هو.. أم شفاعة؟؟

قال ﷺ: لا إنما أنا أشفع له.

قالت: يا رسول الله.. لا حاجة لي فيه[1].

وهكذا رفضت بريرة شفاعة النبي ﷺ، والعودة إلى زوجها مغيث..

---

(١) أبو داود (٤٥٦) (١٩٠٤).



بريرة تلاحق النبى ﷺ

ذات ليلة لبس النبى ﷺ ثيابه، وخرج مسرعاً، فتعجبت السيدة عائشة رضى الله عنها من سرعة اندفاع النبى ﷺ..

فقالت لجاريتها بريرة: اذهبى خلف النبى ﷺ وانظرى إلى أين يذهب..

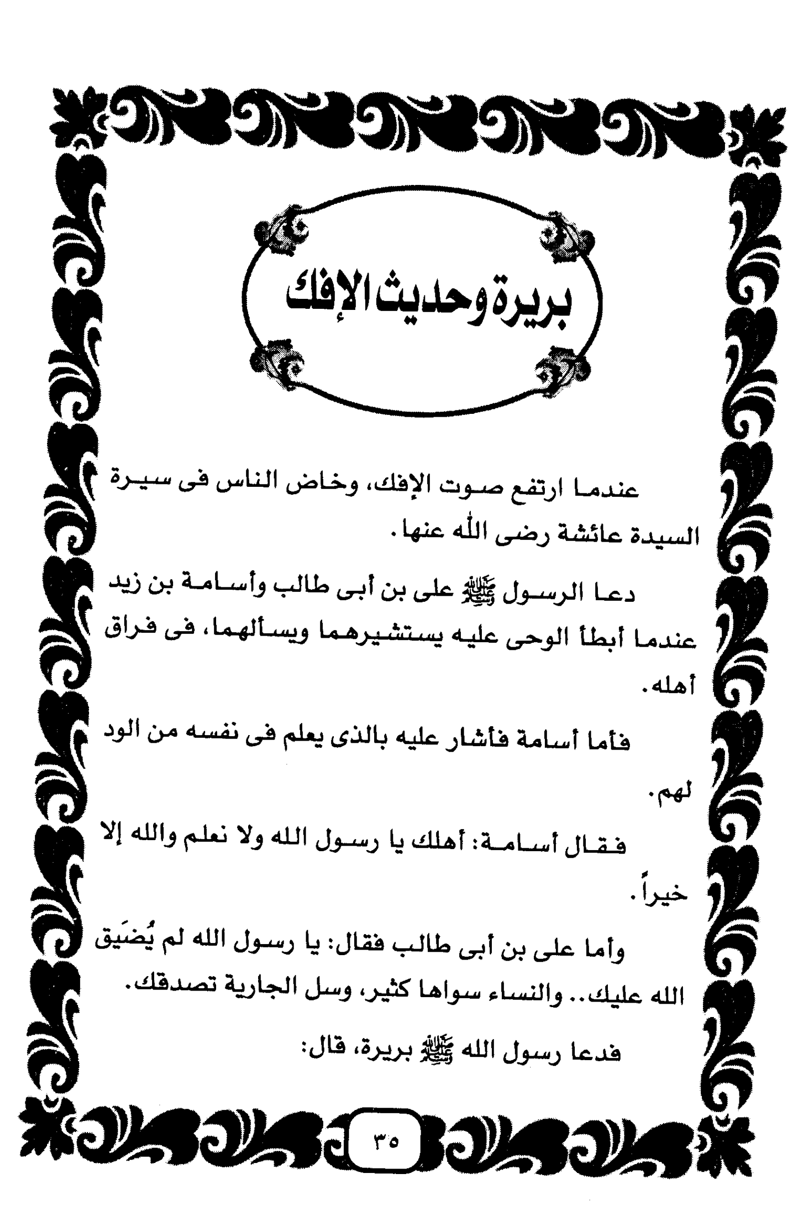
وذهبت بريرة خلف النبى ﷺ وأخذت تسير خلفه حتى بلغ البقيع، فوقف ما شاء الله أن يقف ويدعو ثم انصرف.

فسبقته بريرة عائدة إلى السيدة عائشة وأخبرتها بما رأت..

وعندما دخل النبى ﷺ على السيدة عائشة رضى الله عنها، لم تذكر له شيئاً حتى أصبح ثم حدثته.

فقال ﷺ: إنى بعثت إلى أهل البقيع لأصلى عليهم(١).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٢٠٣).



بريرة وحديث الإفك

عندما ارتفع صوت الإفك، وخاض الناس فى سيرة السيدة عائشة رضى الله عنها.

دعا الرسول ﷺ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد عندما أبطأ الوحى عليه يستشيرهما ويسألهما، فى فراق أهله.

فأما أسامة فأشار عليه بالذى يعلم فى نفسه من الود لهم.

فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً.

وأما على بن أبى طالب فقال: يا رسول الله لم يُضَيق الله عليك.. والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك.

فدعا رسول الله ﷺ بريرة، قال:



أى بريرة هل رأيت فيها شيئاً يريبك.

قالت بريرة: لا والذى بعثك بالحق ما رأيت منها أمراً أعيبه عليها قط.. غير أنها جارية صغيرة حديثة السن تنام عن العجين، فتأتى الطيور الداجنة فتأكله[1].

(١) البخارى فى الشهادات (٢٦٦١).. قيل بريرة هذه مغايرة عن التى رفضت الشفاعة.



بريرة وسواك النبى ﷺ

كان ﷺ إذا استيقظ من الليل ليصلى ما شاء الله له أن يصلي.

يستدعى بريرة ويسألها أن تحضر له السواك، فيأخذه ﷺ ويستاك به..



بريرة وعبد الملك

كان عبدالملك بن مروان بن الحكم أميراً للمدينة، استعمله معاوية، وهو ابن ست عشرة سنة.

وكان فقيهاً شاعراً راوية، كان من شدة عبادته وتنسكه يسمى حمامة المسجد.

كان عبدالملك يكثر الجلوس إلى بريرة، ويجاذبها أطراف الحديث عن سيرة النبى ﷺ والسيدة عائشة وآل البيت.

وذات يوم قالت له: إن فيك خصالاً خليقة أن تلى الأمر، وأن يكون بيدك الملك.. فإن وليته فاتق الدماء.. فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجم من دم امرئ مسلم بغير حق(١).

---

(١) الإصابة (٧/٥٣٥)، والمنتظم (٦/٤٠).



وفاة بريرة

أحست «بريرة» بدبيب المرض يسرى فى جسدها، فنهضت فى ضعف إلى مرقدها.. استلقت بجسدها الهزيل الذى كابد الهموم والأحزان فى فراش المرض.. انطرحت بأطراف ساكنة لا تتحرك منها إلا الشفاة التى ارتعشت فى همهمات التسبيح..

لم يطل رقادها فى فراش المرض، فسرعان ما أتاها ملك الموت، ليقطف زهرة روحها من حديقة الدنيا..

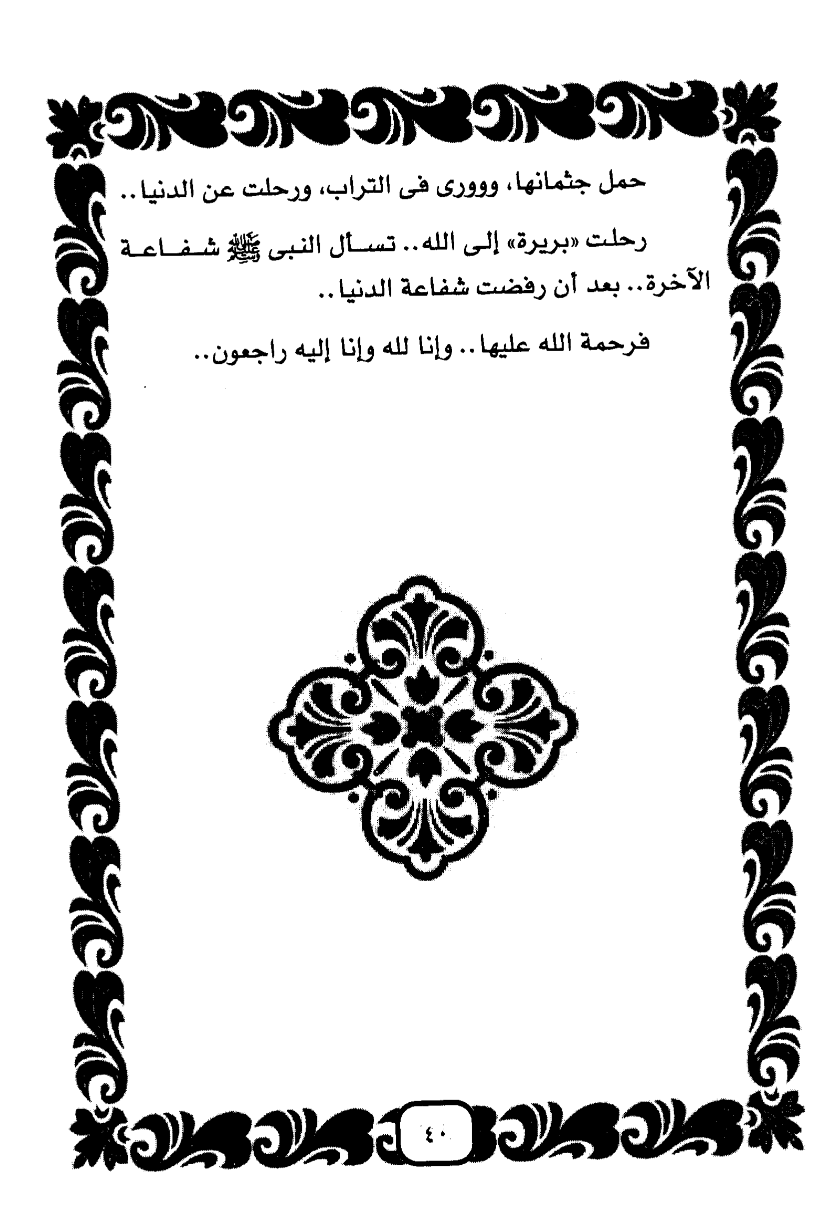
ارتفعت روحها خفاقة تحلق فوق المدينة المنورة بجناحين من نور صاعدة إلى ربها..

حلقت روحها فى أجواء المدينة كأنها تلقى عليها نظرة الوداع على أماكنها الطاهرة.. كأنها تودع المسجد النبوى الذى كان يقوم فيه النبى ﷺ.. أرادت أن ترتشف عبق منزل الوحى، وتودع الذكريات.

حمل جثمانها، ووورى فى التراب، ورحلت عن الدنيا..

رحلت «بريرة» إلى الله.. تسـأل النبى ﷺ شـفـاعـة الآخرة.. بعد أن رفضت شفاعة الدنيا..

فرحمة الله عليها.. وإنا لله وإنا إليه راجعون..





فضائل بريرة

لم تكن قصة بريرة قصة عادية، وإنما كان لها فضائل عظيمة على مستوى التشريع الإسلامى مما جعلها أدلة أمام أنظار العلماء..

ومن هذه الفضائل

١ - جعلت هذه القصة الولاء لمن أعتق، فكان الأمر قبل ذلك مختلفا، فالناس كانوا إذا أرادوا بيع عبد أو جارية يشترطون عند بيعهما الولاء أى النسب والميراث..

فأتت قصة بريرة لتضع فى التشريع أمراً جديداً وهو أن يجعل الولاء لمن يعتق ولو اشترط ألف شرط وشرطا..

٢ - أن الأمة (العبدة) إذا أعتقت ونالت حريتها وكانت متزوجة من مملوك خيرت: إما أن تظل معه كما هى، وإما أن تطلق منه..

وجعل ﷺ عدتها عدة الحرة، وكان هذا العتق عتقا لبضعها أى لفرجها ونفسها..

٣ - فى هذه القصة تشريع مهم، وهو أن الصدقة، وإن كانت لا تجوز للنبى ﷺ ولا لآل بيته، إلا أنه يجوز أن يهدى له ﷺ من هذه الصدقة..

وقال ﷺ ليبين هذا الأمر: هو لها صدقة ولنا هدية..

وبالفعل قامت بريرة وأهدت إليه ﷺ من هذا اللحم فأكل منه ﷺ..




فهرس الكتاب

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٣٦٧٢/ ٢٠٠٣